آثار مدينة القدس بين معاول المنقبين وتفسيرات المزورين

د.معين صادق*

تتعرض مدنية القدس ،منذ بدايات النكبة ، وقبلها ، إلى سلسة من التعديات الإسرائيلية على الممتلكات الثقافية الفلسطينية ، خاصة على المواقع الأثرية والمباني التاريخية ، وقد أصبحت هذه التعديات أكثر وضوحاً بعد احتلال المدنية فى يونية من العام ١٩٦٧ ، وذلك فى إطار إستراتيجية مبرمجة ، وأهداف محددة .

هذه الورقة هى رصد ميدانى لنماذج من هذه التعديات وأهدافها ، وأهم تداعياتها الحالية والمستقبلية ، وكذلك عرض وتحليل للتفسيرات الإسرائيلية لنتاجها ، ثم التوصيات .

تهدف هذه الورقة إلى :

- تشخيص هذه التعديات وتحديد مواقعها
- عرض أهم نتائجها ، وتصنيفها وتحليلها
- مناقشة آراء المنقبين ، ودوافع تفسيراتهم
- التعريف بالدور الفلسطينى والعربى والدولى فى مواجهة التعديات
- عرض توصيات فى ضوء المعطيات الحالية والتوقعات المستقبلية

- الحرم القدسى الشريف : طوبغرافيا المكان

يشكل الحرم القدس الشريف الهدف المركزى لمعظم التعديات الإسرائيلية ، فهو نواة مدنية القدس ، يقع على قمة الجبل المعروف قديما باسم جبلموريا ، ويطلق عليه الإسرائيليون اسم جبل البيت (هار هابيت) ، والمقصود بالبيت هنا ، ذلك الهيكل الذى يحاول الإسرائيليون اكتشاف آثار له منذ قرن من الزمان ، وفشلوا باعترافهم ، كما سيأتى لاحقا.

الحرم القدسى الشريف يقع فى الزاوية الجنوبية الشرقية من البلدة القديمة ، حيث يشكل سوره الشرقى ، وكذلك الجنوبى جزءا من سور المدينة الشرقى والجنوبي.

هذا الحرم مستطيل الشكل غير منتظم ، يمتد لمسافة ٤٥٠ مترا من الشمال إلى الجنوب و ٣١١ مترا من الشرق إلى الغرب .

- أهم المعالم الأثرية الدينية داخل أسوار الحرم القدسى الشريف

المسجد الأقصى المبارك : ويقع ملاصقا للسور الجنوبى للحرم ، وقد أنشأه فى بداية الأمر الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه بعد الفتح الإسلامى ، عام ٦٣٦ ١٥هـ ، وذلك بالخشب ، وهو أول بناء ، وكان يتسع لثلاثة آلاف مصلى ، فوق

---

* مدير عام الآثار – قطاع غزة فلسطين

البقعة التى تيقن هو وأصحابة رضوان الله عليهم أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد صلى مع الأنبياء فوقها ليلة الإسراء والمعراج ٠ هذا المسجد أعيد بناؤه بالحجر لأول مرة فى عهد الخليفة الأموى الوليد ابن عبد الملك بن مروان. وهناك من يقول أن الذى بدأ فى البناء هو والده الخليفة عبد الملك ، ثم أتمه الوليد من بعده ٠

- قبة الصخرة المشرفة التى تبعد حوالى ٢٨٠ متر إلى الشمالى منه ، والتى أنشأها الخليفة الأموى عبد الملك بن مروان عام ٦٩١م ٠ أما حائط البراق الذى سأتى إلية لاحقا فهو يشكل جزءا من السور الغربى للحرم القدسى ، ويميد مسافة حوالى ٥٠ متر بارتفاع ١٥متر

- الاعتداءات الإسرائيلية على الممتلكات التفافية فى القدس

اعتداءات قبل العام ١٩٦٧

لقد تكونت ملامح الأطماع الإسرائيلية فى مدينة القدس منذ العام ١٨٤٠ ميلادية تقريبا ، حيث طالب اليهود آنذاك ببعض التعديلات فى المنطقة ، أو الرصيف ، الممتد أمام حائط البراق، وتمثل ذلك فى مطالبتهم بزيادة المساحة الممتدة أمام الحائط ، والتى كانت لاتبعد آنذاك عن هذا الجدار أكثر من ثلاثة أمتار، وطالبوا أيضا بتغطية هذا الرصيف ببلاطات من الحجر ٠ وحيث أن هذا التغيير يعتبر مدخلا لتغيير الوضع القائم ، وخلق واقع جديد ، ونظرا الى كون هذا المكان ، أى الحائط والمساحة التى أمامه ، هى وقف إسلامى مسجلا باسم شعيب بن الحسين الأندلسى (أبى مدين)، فلا يجوز التصرف فى ذلك شرعا ، رفض المسلمون هذه المطالب ٠

فى ١٩١٧/١٢/٩ ، وعند دخول الجيش البريطانى مدينة القدس ، قام السير رونالد ستورز حاكم القدس العسكرى ، باستدعاء مفتى القدس آنذاك الحاج كامل الحسينى، وطلب منه بيع الممر والدور المجاورة للحائط من اجل توسعة رصيفه، فكان رده بأن أى إنسان لا يستطيع يتصرف بأملاك الوقف ، حتى ولو إلى مسلم، فكيف إذا كان الطلب يهوديا

فى عام ١٩٢٥م ، وبعد تولى المندوب السامى البريطانى فيلد مارشال بلومر Field Marshal Plumer خلفا للمندوب الأول هربرت صمويل Herbert Samuel اشتد الخلاف حول حائط البراق بين المسلمين واليهود ، بعد السماح لهم بزيارة الحائط والصلاة. أمامه ، يجلب أثاث معهم على غير العادة المتبعة منذ القدم ، مما اعتبره السكان العرب تصعيدا جديدا ، أو محاولة لبقاء دائم فى المنطقة المحاطة ببيوت عربية فى حارة المعاربة ٠هذا الأمر أدى إلى قيام ثورة عارمة ٠ لا فى القدس وحدها ، بل فى جميع أنحاء فلسطين ٠ هنا تدخلت حكومة الانتداب ، وبحيث الأمر ،و أصدرت قرارها فى شهر أيلول (سبتمبر) بضرورة الاحتفاظ بالوضع القديم ، أى تامين وصول المتعبدين اليهود الى هذا الحائط ، دون جلب آى أثاث معهم.

هذا الخلاف سرعان ما تكرر بعد تزايد أعداد المهاجرين اليهود ، نتيجة تسهيلات الهجرة التى منحتها الحكومة البريطانية لهم ، فطالبوا بالغاء القرار السابق ، وتحدوه عند زيارتهم للحائط فى عيد الغفران ، حيث حملوا بعض الأدوات والأثاث التى منعوا فى السابق من جلبها ٠ كان ذلك فى ٩أب (أغسطس) من العام ١٩٢٨٠

فى الأول من نوفمبر (تشرين الثانى) ١٩٢٨ عقد المسلمون فى القدس مؤتمرا إسلاميا ، استنكروا فيه أى عمل ، أو محاولة ترمى إلى إحداث أى تغيير فى الوضع الراهن فى تلك المنطقة ، خاصة أنه مكان وقف إسلامى وحذروا الحكومة البريطانية من مغبة التساهل فى هذا الأمر ، وإلا فلا بديل من التصدى لذلك مهما كلف الآمر هذه الوقفة ، وتلك التهديدات لم تؤدى إلى نتيجة حاسمة .

حيث تجددت الاضطرابات والاشتباكات العنيفة فى شهر اب (أغسطس) من العام ١٩٢٩ ولم يزد رد الفعل البريطانى آنذاك عن تشكيل لجنه ، اسماها وزير المستعمرات البريطانى لجنة البراق تتكون من ثلاثة أعضاء من السويد وسويسرا وإندونيسيا ، حققت فى الآمر و أصدرت فى شهر كامونى الأول (ديسمبر) من العام ١٩٣٠ تقريرها الذى حاز على موافقة الحكومة البريطانية وعصبة الأمم معا فأصبح بذلك وثيقة دولية هامة تثبت حق الشعب الفلسطينى فى حائط البراق وانه جزء لا يتجزأ من الحرم القدسى الشريف ٠

- اعتداءات بعد احتلال مدنية القدس عام ١٩٦٧

تجريف المبانى التاريخية الفلسطينية فى البلدة القديمة : حارة المغاربة : حالة دراسية بعد أربعة أيام فقط من احتلال القدس ، استولى الجيش الإسرائيلى على مفتاح باب المغاربة ، وشرعت الجرافات الإسرائيلية بهدم ١٣٥بيت فى حارة المغاربة ، وكذلك ازالت مسجدين فى الحارة نفسها معظم هذه المبانى تعود إلى القرنين الثالث والرابع عشر الميلاديين ، أى الى العصر المملوكى ن حيث وجدت حوالى ٣٠٠عائلة فلسطينية نفسها فى ليلة واحدة بلا مأوى وقامت الجرافات بتسوية المنطقة الواقعة أمام حائط البراق لتهيئة ساحة كبيرة للمصلين اليهود أمام الحائط ، علما بأن المساحة التى أمامه كانت بعرض مترين فقط قبل حرب عام ١٩٦٧ ، استنادا الى وثائق وصور قديمة بين أيدينا تعود للعام ١٩٦٦ ، وكذلك تم تجريف مبانى تاريخية أخرى لإيجاد امتداد إضافى لهذا الحائط ٠

ونظر لإدراك الإسرائيليين أهمية هذا الحائط (أو السور) فى اذهان المسلمين، وارتباطه بذكرى الإسراء والمعراج ، وبأنه وكذلك الرصيف أمامه وقفاً إسلاميا، جعلوا هدف الاستيلاء على مساحات إضافية من امتداده باتجاه الشمال أولوية لهم ، فزوروا التاريخ ، وجعلوا الحائط بدعاياتهم مقدسا لهم ، رغم عدم وجود أى ذكر له ، أو تحديدا لمكانه ، فى توراتهم أو أسفارهم ، وتراهم يأتون باكون أمامه على ماضيهم وخراب هيكلهم ، بعد أن كانوا حتى النصف الأول من القرن السادس عشر الميلادى

يتعدون على جبل الزيتون تارة ، وأمام السور الشرقى للحرم قبالة هـذا الجبـل تـارة أخرى ٠

المسجد الأقصى المبارك تحديدا : أولوية التعديات ٠ لمادا ٠

وضع الإسرائيليون خططتهم الهادفة إلى النيل من مبنى المسـجد الأقصـى المبـارك كأولوية لهم ، حيث انه يمثل ألى جانب قبة الصخرة المشرقة رمـز البعـد الإسـلامى لمدينة القدس ، كما يمثل الجامع الأزهر فى القاهرة ، والجامع الأموى فـى دمشـق ، وجامع الزيتونة فى تونس ٠

انهم يعرفون القيمة الدينية والتاريخية لهذا الأثر المبارك ، الذى أنشئ فى البقعة التـى صلى فيها النبى محمد عليه الصلاة والسلام مع الأنبياء ليلـة الإسـراء والمعـراج ٠ ويعرفون أن هذه الأرض هى أولى القبلتين ، وثانى المسـجدين ، وثـالث الحرميـن الشريفين ، وهو المكان الذى من بركته جاءت بركة القدس وفلسـطين مـن حولـها ، والتى هى كلها مسجد أقصى ، بالمعنى الإصطلاحى والشمولى الوارد ذكرة في كتابـه المبين.

- الحفريات الأثرية الإسرائيلية :

منذ احتلال المدنية فى العام ١٩٦٧ تتواصل الحفريات الأثرية فى المنطقة الملاصقـة لأسوار المسجد الأقصى ، وتحت أساماته ، أملا فى الهياره ، وذلك لخلق واقع جديـد ، لا سمح الله فى الحرم القدسى الشريف ٠

بدأ الإسرائيليون فى أواخر عام ١٩٦٨ ، وبدافع توراتى وسياسى وبتمويل من الجامعة العبرية ، حفريات آثريه تحت أسوار البلدة القديمة ، ذلك عند الزاوية الجنوبية الغربيـة للحرم القدسى الشريف ، متجهة شمالا حتى باب المغاربـة ، مـارة تحـت الزاويـة الفخرية، ومركز الأمام الشافعى رضى الله عنه ، ومسجده ، وتحت أبنيـة مسـاكن آل آبى السعود ، وعلى امتداد ٨٠ متر ، وقد تصدعت على أثر ذلـك جميـع العقـارات الوقفية الإسلامية ٠

فى العام ١٩٦٩ وضعت السلطات الإسرائيلية الحائط الغربى للحرم القـدس الشـريف حتى باب المغاربة تحت سلطة الآثار الإسرائيلية ، التى بـدأت سلسـلة أخـرى مـن الحفريات الأثرية فى الأرض الملاصقة لحائط الـبراق ، أسـفل المحكمـة الشـرعية القديمة، حيث وصلت الحفريات إلى عمق حوالى ٣٦متر .

هذه الحفريات تمت بتمويل من الجامعة العبرية ، وبالتعاون مع شركة دراسـات أرض إسرائيل وقد خاب ظنهم من نتائج هذه الحفريات التى كشفت النقاب عن آثـار قصـور أموية تعود إلى عهد الخليفة الأموى الوليد الثانى (٧٤٣ - ٧٤٤م) ٠

الحفريات الأثرية الإسرائيلية : أهدافها ، وتداعياتها

بعد محاولات الإسرائيليين الفاشلة فى إيجاد أى أثار معمارية للـهيكل الأول ، الـذى شيد حسب الرواية التور آتية زمن سيدنا سليمان ، أو الهيكل الثانى الـذى شـيد فـى

العصر الفارسى ، أو الثالث الذى شيد فى بدايات العصر الرومانى ، قاموا بإنجاز مجسم للهيكل استنادا إلى وصف المؤرخ اليهودى فلافيوس جوزيفوس ،انتظارا للوقت المناسب الذى يستطيعون فيه تنفيذه على الأرض ، فوق جبل موريا التاريخى ، الذى يقع فوق قمته ، كما ذكرنا سابقا ، الحرم القدسى الشريف لقد أيقن علماء الآثار الإسرائيليون منذ زمن ، واعترف بعضهم علنا ، أن الحفريات الأثرية المحمومة التى قاموا بها ، وتلك التى أجرتها مدارس الآثار الأمريكية والأوربية ، وقام بها كذلك علماء آثار أمريكان وأوربيين لاهوتيين، منذ أكثر من قرن من الزمان لم تأت بالنتائج المرجوة ، ولم تستطيع حتى تاريخه الربط بين طوبوغرافيا وجغرافيا التوراة ، والنتائج المادية للحفريات الأثرية على الأرض ٠ ذلك بالرغم من كل محاولات التضليل وتزييف الكلمة ،ومحاولات صبغ نشاطهم الأثرى بالقصة التور آتية.

رغم إيمانهم بهذا الفشل ، إلا أن الاعتداء على المسجد الأقصى المبارك وقبة الصخرة الشريفة تحديدا لازال هدفا أساسيا فى أزهاهم، وقد كانت هناك عدة محاولات سابقة لتنفيذ هذا الهدف .

- إحراق المسجد الأقصى :

لقد كان إحراق المسجد الأقصى المبارك فى ٢١أب (أغسطس) من العام١٩٦٩ امتداد لمحاولات سابقة أيام الصليبيين للاعتداء على هذا الأثر ٠ بدأ الحرق متعمدا فى مقدمة المسجد ن أى فى الجهة الجنوبية الشرقية التى تلى جدار القبلة فأحترق المحراب، والمنبر الخشبى الذى أمر بصناعته الأمير نور الدين محمود بن زنكى عام ١١٦٨ م فى المدينة حلب ،ليضعه بنفسه فى المسجد الأقصى المبارك بعد الفتح ٠ إلا أن نور الدين زنكى توفى قبل أن يكمله ، فأكمله ابنه الصالح إسماعيل ، ثم أتى به فيما بعد السلطان يوسف بن أيوب ، المعروف بصلاح الدين الأيوبى ووضعه فى المسجد الأقصى المبارك بعد استرداده لمدنية القدس من الصليبيين عام ١١٨٧ من جراء هذا الحريق تعرض أيضا سقف المسجد ، وكذلك بعض جدرانه للتدمير ٠

-سياسة حفر الأنفاق : محاولة لتزوير التاريخ وتهويد المدنية

إلى جانب التهديد المباشر للحرم القدسى الشريف ، هناك تهديد أثرى آخر ، وهو محاولة الإسرائيليين البحث عن أنفاق تعود إلى عقد ثورة الحشمونيين التى قامت حسب الرواية اليهودية خلال الفترة السلوقية ، فى العام ١٦٧ قبل الميلاد ، أى فى عهد الملك السلوقى أنطوخيس الرابع ، ولعرض ما يفكر به الإسرائيليون فى هذا الخصوص ، نذكر هنا الرواية اليهودية التى تتلخص فى أن ثورة الحشمو نيين قد بدأها قائد ها الأول الكاهن ما تياس Mathias ، من عائلة حشمون كان له خمسة أولاد ، هم يوهانس gohannes ، وسيمون Simon، ويهودا JudaS وإليعازر Eleasar ، ويوناثان وسيمون ويهودا واليعازر Eleasar وبونا ثان Gonathan، حربوا جميعا إلى الجبال نتيجة اضطهاد السلوقيين لهم ، ومنعهم حسب الرواية اليهودية من ممارسة ديانتهم ،ن

وإجبارهم على عبادة أوثانهم فقادوا حرب عصابات ضد السلوقيين • بعد موت ماتيلس تولى قيادة الثورة ابنه يهودا ولقبه مكابى Maccabe أى المطرقة ، وقد سمى اتباعه المكابيون Maccabees نسبة له قام الأثاريون الإسرائيليون بشق عدة أنفاق بجوار السور الغربى للحرم القدسى الشريف وعادوا تزييف التاريخ بادعائهم أنها تعود إلى عهد الحشمونيين ،رغم عدم وجود نقش كتابى أو حرفى أو آى إشارة عينية تدل عليهم •

- أصل هذه الأنفاق :

مدنية القدس ، مثلها مثل أى مدنية أثرية ، هى عبارة عن عدة طبقات أثرية تعود إلى فترات متعاقبة فالطبقة الأثرية تحت مبانى المدنية الحالية هى المدنية القدس خلال العصر الرومانى بشوارعها الرئيسة والفرعية ، وأزقتها ، ومبانيها العامة والخاصة ، وأسوارها ، وأبوابها ، هذا نراه بوضوح فى خارطة القدس فى العصر البيزنطى فى أرضية من الفسيفساء الملونة ، تم اكتشافها قبل قرن وهي موجودة فى مدنية مأدبة الأردنية ، ويمكن بسهولة التعرف على طوبوغرافيا ما هو اليوم تحت الأرض من خلال طوبوغرافيا هذه الخارطة •

هذه الأنفاق هي الفراغات بين مبانى العصر الرومانى ، وكذلك قنوات للمياه وللصرف الصحى ، تم تفريغ الرمال منها ،ليتم تسميتها اليوم بالأنفاق ، ويتم تحديد تاريخها زيفا بفترة الحشمونيين كذلك ترى فى خارطة ماديا خارطة لمدينة غزة خلال العصر البيزنطى ،والتى تظهر كثانى أكبر مدنية بعد القدس •

- تداعيات حفر الأنفاق على مبانى البلدة القديمة :

لقد أدت استمرارية الحفريات الأثرية الإسرائيلية تحت مبانى البلدة القديمة ، خاصة فى منطقة الأنفاق ، الملاصقة للسور الغربى للحرم القدسى الشريف ،إلى تصدع وتشقق المباني التاريخية القائمة هناك حيث أن ترميم المباني التاريخية يحتاج إلي تقنية معمارية معينة ، ومعقدة فى نفس الوقت ، ونظرا إلى أن ترميم مثل هذه المبانى يحتاج إلى ميزانيات ضخمة قد لا يقدر على تأمينها المواطن الفلسطينى ،يأمل الإسرائيليون أن تصبح هذه المبانى غير صالحة للاستخدام ، مما قد يكون حسب اعتقادهم مقدمة لهجرانها ، أو بيعها مما يعنى فى نهاية المطاف تغيير ديموغرافى فى البلدة القديمة لصالح الإسرائيليين ، ومزيد من التهويد للبلدة القديمة •

- المتحف الفلسطينى (رو كفلر) : مؤسسة فلسطينية محتلة

يقع هذا المتحف قبالة أسوار مدنية القدس ، بين باب الساهرة والحى المعروف بوادى الجوز أنشأه الثرى الأمريكى رو كفلر Rockefeller فى عهد الانتداب البريطانى ورصد لهذا المشروع مليونين من الدولارات وافتتح للجمهور عام ١٩٣٨ .

كان هذا المتحف ومخازنه المستودع المركزى لنتائج الحفريات الأثرية زمن الانتداب البريطانى ، فقد إحتوى على عدد كبير من التحف الأثرية ، من بينها آثار تم اكتشافها فى تل العجول فى مدنية غزة ، ومن مواقع فلسطينية أخرى ، وقد احتوى هذا

المتحف، ولا يزال ، على تماثيل مختلفة الأنواع ، ومن مختلف العصور ، من بينها تماثيل قصر هشام الأموى الذى اكتشافه فى مدنية أريحا وكذلك نقوش كتابية وآثار مصنعة من مواد عديدة ٠

وقد اشتمل المجمع المعمارى للمتحف على مكتبة ضخمة لازالت موجودة ، واشتمل كذلك على مقر دائرة الآثار الفلسطينية زمن الانتداب البريطانى ٠

قبيل احتلال مدنية القدس عام ١٩٦٧ كان المتحف تحت الإدارة الأردنية ، وبعد الحرب استولت عليه دائرة آثار والمتاحف الإسرائيلية ، وأطلقت علية اسم متحف رو كفر رغم أن اسمه القديم لازال منقوشا باللغة العربية والإنجليزية والعيرية على بوابته الرئيسة منذ عهد الانتداب ، واعتبرته دائرة الآثار الإسرائيلية ملكا لها بكل ما يحتوى من مكتبة ، وأرشيف للصور النادرة ، والمخطوطات الأثرية ، وكذلك مخازن الآثار ، وجعلت دائرة الآثار الإسرائيلية جزءا من بنايته مقرا لها ، ثم بدأت بتقليص عدد الموظفين العرب فيه ٠

- تعديات أخرى لها أولوية التنفيذ أين

من بين التعديات الإسرائيلية المتوقعة فى البلد القديمة محاولة إغلاق باب المغاربة، أحد أبواب الحرم القدسى الشريف ، وهى محاولة بدأت فى الستينات من القرن الماضى ، وذلك فى إطار السياسة الإسرائيلية العامة المتمثلة فى تضييق الخناق حول الحرم القدس الشريف ، وقد عاودت بلدية القدس فى شهر يوليه من العام ١٩٩٣ محاولات إغلاق هذا الباب من خلال إزالة التلة الترابية المؤدية إلية هذه التلة هى عبارة عن طريق أو جسر ترابى صاعد ، يستخدمه المصلون للوصول إلى باب المغاربة ، ومنه إلى الحرم القدسى الشريف ٠

- أهداف إزالة هذه التلة

منع المصلين العرب مستقبلا من الدخول إلى الحرم القدسى الشريف من باب المغاربة، أى إغلاقه تماما ، بعد إزالة التلة الترابية المؤدية إلية ٠

إمكانية زيادة امتداد حائط البراق إلى الجهة الجنوبية

إمكانية توسعة الرصيف أو الساحة الممتدة أمام هذه الحائط باتجاه الجنوب ٠

إمكانية القيام بحفريات أثرية إضافية ملاصقة للسور الغربى للحرم القدس الشريف، أملا فى الوصول إلى اكتشافات أثرية قد تخدم الادعاءات الإسرائيلية

وكمحاولة للتقيل من أخطار هذه الخطة ، والإيحاء للمسلمين بعدم وجود نية إسرائيلية لإغلاق باب المغاربة أمام المصلين ، عمد عامو حاييم رئيس بلدية القدس بالوكالة عام ١٩٩٣ باقتراح تركيب جسر من السلالم ، مصنوع من مادة شفافة بطول عشرة أمتار ، يمتد فوق ساحة حائط البراق ، يستخدمه المصلون للوصول إلى الحرم القدسى الشريف ٠ اصطدمت هذه الخطة بمعارضة سكان المدنية من المسلمين ، الذين تنبهوا لها ، وحالوا ، كما حدث فى الستينات ، دون تنفيذها ٠

- الدور الفلسطينى النضالى لترسيخ الهوية الوطنية ومواجهة التعديات .

هناك عدة جهات رئيسة فاعلة ميدانيا فى مدينة القدس ، وخاصة فى ميدان ترميم مبانى البلدة القديمة ، وهى قسم الآثار التابع لدائرة الأوقاف ، وجمعية الأقصى برئاسة الشيخ رائد صلاح رئيس بلدية أم الفحم ، موسسة التعاون الخيرية ، وكذلك رابطة مقاتلى الثورة الفلسطينية القدامى ، حيث تم توثيق وترميم عدد كبير من مبانى البلدة القديمة ، من بينها الخانقاة الصلاحية ، وكذلك الترميم الذى قامت به جمعية الأقصى للمصلى المروانى ، الواقع اسفل المسجد الأقصى المبارك ، خلال النصف الثانى من العام ١٩٩٧، رغم محاولات دائرة الآثار الإسرائيلية ، وبلدية القدس المتكررة إعاقة هذه الترميمات ، وقد تمت تهيئة هذا المصلى للصلاة ، وتمت حمايته من استيلاء الإسرائيليين عليه ٠

كذلك تقوم مؤسسة إحياء التراث والبحوث الإسلامية فى بيت المقدس بالدور المركزى فى مجال الحفاظ على المخطوطات الإسلامية والمسيحية منذ العام ١٩٨٢ ، وقامت حتى الآن بتجميع حوالى ٢ مليون وثيقة فى كافة المجالات ، خاصة الوقفيات وسجلات ملكية الوقف الإسلامى٠، والملكية الخاصة فى فلسطين ٠ حيث تصدت المؤسسة للهجمة الإسرائيلية بإثبات الملكية الشرعية لأراضى الوقف ، التى هى وقفا إسلاميا صحيحا ومؤكدا ٠

لقد تمكنت هذه المؤسسة من تمكين اللجنة الإسلامية فى يافا من استرجاع مقبرة طو سو ، التى حاول الإسرائيليون الاستيلاء عليها ، وكذلك استطاعت المؤسسة إثبات ملكية أراضى فى بئر السبع ، وكانت مهددة بالبناء الإسرائيلى عليها ، واثبات الملكية الإسلامية لأراضى مقبرة مأمن الله فى القدس غربا ، والتى تبلغ مساحتها ١٤٦ دونوم ، وكانت تستخدم منذ عهد صلاح الدين الأيوبى حتى عام ١٩٤٨ ، ثم بدأ اليهود فى نبش قبورها ، استغلال أرضها فى بناء فنادق ومحلات تجارية كذلك تقوم مؤسسة إحياء التراث أيضاء بصيانة هذه المخطوطات والوثائق فى وحدة للترميم بهذا الغرض هذا بالإضافة إلى إصدار ٤٤ دراسة وبحث تتعلق بالتراث والتاريخ والحضارة الفلسطينية عامة ، وعن بيت المقدس بشكل خاص ٠

كذلك لا ننسى دورا المتحف الإسلامى داخل الحرم القدسى الشريف ، والمتمثل فى الحفاظ على آثارنا ونشر المعرفة الأثرية والتراثية ، وترسيخ الهوية الفلسطينية هناك.

أمام أهم الإجراءات العملية التى تم اتخاذها لوقف الحفريات الأثرية الإسرائيلية فى القدس فقد قام بها بشكل بطولى سكان المدنية المقدسة ، وذلك بتصديهم الشجاع المعاول الحفر الإسرائيلية منذ العام ١٩٦٧ ونذكر انتفاضة النفق التى اشتعلت بعد قيام إسرائيل فى شهر سبتمبر من العام ١٩٩٦ بفتح مدخل نفق يسير بموازاة الجدار الغربى للحرم فى مدينة القدس ، ثم سرعان ما انتشرت فى أرجاء فلسطين، وكانت حصيلة هذه المواجهات سقوط ٦٥ شهيدا فلسطينيا وجرح المئات منهم ٠

- لقد تسببت هذه الأنفاق فى هبوط التربة ، وتصدع للمبانى الأثرية الإسلامية والمسيحية القائمة فوقها ٠
- وفى مجال الدفاع عن تراثنا الثقافى إصدار مركز الحق الفلسطينى لحقوق الإنسان ، ومقره رام الله ، دراسة تحليلية فى العام ١٩٦٧ ، رصدت فيها التعديات الإسرائيلية فى مجال الآثار وسرقتها ، والحفريات الغير مشروعة ، مما يمثل انتهاكا للقوانين الدولية الخاصة بحماية الممتلكات الثقافية فى فلسطين وقد شارك أثاريون فلسطينيون بتزويد معدى الدراسة بالمعلومات الدقيقة حول الحفريات الأثرية وأماكن تواجد مكتشفاتها ٠

- القانون الدولى ، ودوره فى حماية الممتلكات الثقافية

لقد كانت الحفريات الأثرية الإسرائيلية فى المناطق المحتلة ، وكذلك عمليات نقل التحف الأثرية من المواقع الأثرية الى داخل الخط الأخضر مخالف لقوانين دولية عالجت هذا الموضوع ، وهى :

اتفاقية لاهاى عام ١٩٠٧

وهى تحتوى على عدد من البنود الخاصة بحماية الممتلكات الثقافية الخاصة والعامة ، وتمنع قيام المحتل بمصادرة أى من هذه الممتلكات ٠

اتفاقية جنيف الرابعة عام ١٩٤٩ الخاصة بحماية المدنيين أثناء الحرب

تمنع المادة ٥٣ من هذه الاتفاقية القوات المحتلة من تدمير أى من الممتلكات الثقافية التى تعود إلى أشخاص أو مجموعات أو مؤسسات حكومية فى المناطق الخاضعة لها.

اتفاقية لاهاى للعام ١٩٥٤ لحماية الممتلكات الثقافية

هذه الاتفاقية أبرمت بعد أحداث الحرب العالمية الأولى والثانية ، وقد نشأت حول مفهوم أن الممتلكات التفافية ، وحمايتها ليست مهمة دولة واحدة ، بل مهمة المجتمع الدولى بأسره ورغم أن إسرائيل تعتبر نفسها ملزمة بهذه الاتفاقية ، إلا أن ممارستها على الأرض عكس ذلك ، وقد نشرت الباحثة جوانا أوديران فى النصف الأول من عام ١٩٨٧ كتابا بعنوان النهب والتدمير صدر عن مؤسسة الحق الفلسطينية وقد تضمنت وثاق الكتاب توجهات إسرائيل العدوانية تجاه السيطرة على مدينة القدس ، وذلك فى رسالة وجهها مسئول الاتفاقيات الدولية فى وزارة الخارجية الإسرائيلية إلى مؤسسة الحق الفلسطينية ،يؤكد أن إسرائيل تعترف باتفاقية لاهاى لعام ١٩٥٤ ، وتعترف كذلك بالتوصيات الخاصة بالمناطق الفلسطينية المحتلة ، ما عدا ما يتعلق بالقدس الشرقية ٠

توصيات اليونسكو لعام ١٩٥٦ فى نيودلهى

هذه التوصيات هى عبارة عن بروتوكول تم إلحاقه باتفاقية لاهاى السابقة الذكر، وهى تهتم بشكل خاص بموضوع منع تصدير الممتلكات الثقافية من مناطق مختلة، وتمنع

كذلك أى حفريات أثرية فى المناطق المحتلة ٠ وقد قامت إسرائيل أيضا بالتوقيع على هذه التوصيات ،ولم تنفذها .

اتفاقية آداب المهنة الصادرة عن المجلس الدولى للمتاحف (الآيكوم)

وقد تم التوقيع على هذه الاتفاقية فى الأرجنتين عام ١٩٨٦ ، وقد إلتزم كل أعضاء المجلس الدولى للمتاحف ، ومن بينهم متاحف إسرائيل باحترام اتفاقية لاهاى للعام ١٩٥٤ ، وتشير هنا الى أن اتفاقية آداب المهنة تمنع مشاركة المتاحف إسرائيل باحترام اتفاقية لاهاى للعام ١٩٥٤ ،ونشير هنا إلى أن اتفاقية آداب المهنة تمنع مشاركة المتاحف المسجلة فى المجلس من التعامل بصورة مباشرة أو غير مباشرة مع أى متلكات ثقافية قادمة من مناطق محتلة ، حيث أن تصدريها بحد ذاته غير قانونى ٠

- الاتفاقية الفلسطينية الإسرائيلية بشأن الآثار

استنادا إلى بروتوكول الشؤون المدنية لاتفاقية القاهرة ، التزام الإسرائيليون بتزويد الجانب الفلسطينى بكل المستندات والسجلات التى لها علاقة بنشاطاتهم الأثرية فى المناطق الفلسطينية إلى جانب إعداد قوائم بالموقع الأثرية التى حفروا فيها ، ووصف مفصل للقطع الأثرية التى نقولوها من مواقعها إلى داخل الخط الخضر منذ العام ١٩٦٧٠ لم يلتزم الاسرائيليون بذلك ، بل لازال هناك تعدى على مواقع اثرية تزخر بآثار تعود إلى عصور متعاقبة ، كما حدث فى موقع الآثار فى جبل أبو غنيم ، وكما يحدث الآن فى موقع تل الرميدة الأثرى فى الخليل

- * توصيات

ننتهز فرصة انعقاد هذا المؤتمر لنقترح عدد من التوصيات فى مجال حماية ممتلكاتنا الثقافية فى مدنية القدس ، وذلك كقضية هامة ، وحق طبيعى ومشروع من حقوق الإنسان ٠

هذه التوصيات تتمثل فى الآتى :

- دعم قسم الآثار التابع لدائرة الأوقاف فى القدس بطاقم إضافي من المتخصصين فى مجال الآثار ، وتزويد القسم بإمكانيات ثقينة تمكنه من متابعة عمله بآلية أكثر نجاحاً
- تمويل مشاريع ترميم المبانى التاريخية فى البلد القديمة لتمكين السكان هناك من صيانة منازلهم التى تصدعت بفعل الحفريات الأثرية ، وشق الأنفاق ٠
- دعم برامج التوعية بالآثار والتراث فى البلد القديمة وفى المدن الفلسطينية الأخرى، حيث أن المشاركة المجتمعية هى خير ضمان لحماية الآثار والتراث الثقافى ٠
- الاتصال بالمؤسسات الأجنبية الثقافية العاملة فى القدس ، لاتخاذ موقف علمى واضح تجاه خطورة الحفريات الأثرية تحت أسوار الحرم القدسى الشريف ، وتجاه محاولات الإسرائيليين

- العمل على المستوى الدولى بكشف ممارسات إسرائيل ، وانتهاكها لحق الفلسطينى فى وتراثه وممتلكاته الثقافية ، بل وقيامها محليا وإقليميا ودوليا بتنظيم معارض للتراث الفلسطينى تحت مسميات إسرائيلية ٠
- مطالبة إسرائيل بتطبيق القوانين الدولية والمعاهدات التى وقعت عليها فى مجال حماية الممتلكات الثقافية ، ومنع الحفريات الأثرية ، ونقل أثار من المناطق الواقعة تحت سيطرتهم
- حث المؤسسات الأثرية فى دولة العالم إلى عدم القيام أو المشاركة فى أى حفريات أثرية فى المناطق الفلسطينية المحتلة أو التعامل مع قطع أثرية وتراثية مصدرها هذه المناطق ٠
- دعم المطلب الفلسيني المشروع فى استعادة آثارنا ، واستعادة المتحف الفلسطيني متحف روكفلر الذى قامت إسرائيل بالاستيلاء عليه فى العام ١٩٦٧
- الوقف بحزم أمام محاولات إسرائيل المستمرة للتعدي على الحرم القدسى الشريف.